من ظلم فاحذر ان تفعل مثل فعله ثم وصف حال المكذبين بعد اتيان التاويل المتوقع بقوله
ومنهم من يؤمن به اى ومن المكذبين بالقران من قومك يا محمد من سيؤمن بالقران لعلم
الله ذلك منه او المعنى ومن المكذبين من يصدق بالقران بعد العلم به وبعد اتيان تاويله اى
سيصدق به ظاهرا وباطنا من غير استكبار وباب يتوب عن كفره او يصدق به فى نفسه ويعلم انه
حق ولكن يعاند فيصر على كفره استكبارا قال الشيخ معناه ومنهم من بقى على نعت فطرة الله التى
فطر الناس عليها مستعدا لقبول الايمان كما كان مستعدا عند استماع خطاب الست بربكم لما كانوا مستعدين
لقبول الايمان عند عرضه قالوا مجيبين لله باجمعهم بلى فمن يؤمن بالله وملئكته وكتبه ورسله فانه
دال على انه لم يفسد استعداده الفطرى ثم اشار الى من لم يبق على نعت فطرت الله التى فطر الناس عليها
بقوله ومنهم من لا يؤمن به ابدا اى لعلم الله السابق فيه انه لا يؤمن به اما فى نفسه فى
الحال لفرط غباوته وقلة تدبره او فيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك اعلم بالمفسدين اى
بالمصرين الذين لا يؤمنون فهو يهددهم او باحوال المعاندين هل يبقون على الكفر او يتوبون وان كذبوك
اى فان اصروا على تكذيبك يا محمد بعد الزام الحجة فقل لهم لى عملى يعنى الطاعة وجزاء
ثوابها ولكم عملكم يعنى الشرك وجزاء عقابه قال السلطان فتبرأ منهم فقد اعذرت والمعنى
لى جزاء عملى ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا انتم بريئون مما اعمل وانا برئ مما
تعملون تاكيد لما افاده لام الاختصاص من عدم تعدى جزاء العمل الى غير عامله يعنى لا تؤاخذون بعملى
ولا اؤاخذ بعملكم معنى الكلام الردع والزجر وقال مقاتل والكلبى هذه الاية منسوخة باية السيف قال
امام المفسرين فخر الدين الرازى وهو بعيد لان شرط الناسخ ان يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلول الاية
اختصاص كل واحد بافعاله وبثمرات افعاله من الثواب والعقاب واية القتال ما رفعت شيئا من مدلولات
هذه الاية فكان القول بالنسخ باطلا اقول الحق ما قاله الامام لان النسخ انما يصار اليه عند قيام التعارض
نطقا والابهام بمعزل عنه ثم لما قسم الكفار فى الاية الاولى الى قسمين منهم من يكون فى نهاية البغض
والعداوة ومنهم من لا يكون كذلك وصف ههنا القسم الاول فقال ومنهم اى ومن هؤلاء المشركين
من يستمعون اليك اذا قرات القران وعلمت الشرائع لكن لا يقبلونه كالاصم الذى لا يسمع اصلا
لخصه ومن المشركين يستمعون اليك باسماعهم الظاهرة ولا ينفعهم لشدة بغضهم وعداوتهم لك
افانت تسمع الصم اى افانت تقدر على اسماع المشركين ولو كانوا لا يعقلون اى ولو انضم
مع الصمم عدم تعقلهم وتدبرهم كما انك لا تقدر على اسماع الصم الغبى الغير العاقل فكذلك لا تقدر
على اسماع من اصم الله سمع قلبه فلهم اذان لا يسمعون بها شبههم بالاصم الذى فقد عقله فى عدم
الانتفاع بما يتلى عليه قال الاستاد معناه اتقدر على اسماعهم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان
الاصم العاقل ربما يتفطن بالاشارة واذا اجتمع فقدان السمع والعقل جميعا فقد تم الامر وفيه تنبيه
على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا يوصف به البهايم وهو لا يتاتى الا ب
العقل السليم فى التدبر وعقولهم لما كانت ماوفة بمعارضة الوهم ومتابعة الالف والتقليد تعذر
افهامهم الحكم والمعانى الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهايم من كلام

الناعق

الناعق قال الشيخ ان الله صرف قلوبهم عن الانتفاع بما يسمعون ولم يوفقهم لذلك فهم بمنزلة الجهال
اذ لم ينتفعوا بما يسمعوا وهم ايضا كالصم الذين لا يعقلون شيئا ولا يفهمونه لعدم التوفيق ومنهم
من ينظر اليك بابصارهم الظاهرة ويعاينون دلايل نبوتك ولكنهم لا يصدقون بذلك وجمع
الضمير الراجع الى كلمة من فى قوله ومنهم من يستمعون اليك رعاية لجانب المعنى كما افرد فى من ينظر
رعاية لجانب اللفظ ولعل ذلك للايماء الى كثرة المستمعين بناء على عدم توقف الاستماع على ما يتوقف
عليه النظر من المقابلة وانتفاء الحجاب والظلمة افانت تهدى العمى اى اعقيب ذلك انت
تهديهم وترشدهم يريد بالعمى عمى القلوب ولو كانوا لا يبصرون اى ولو انضم الى عدم البصر عدم
البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة فى ذلك هى البصيرة ولذلك
يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق والاية كالتعليل للامر بالتبرى والاعراض عنهم قال
الاستاد وفى هذا تسلية من الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انك لا تقدر ان تسمع من
سلبته السمع ولا تقدر ان تهدى من سلبته البصر ولا تقدر ان توفق للايمان من حكمت عليه ان لا يؤمن
ان الله لا يظلم الناس شيئا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله يا عبادى انى حرمت الظلم على
نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا قوله شيئا مفعول مطلق اى لا يظلم شيئا من الظلم لا قليلا ولا كثيرا بسلب
حواسهم وعقولهم لانه فى جميع افعاله متفضل او عادل ولكن الناس انفسهم يظلمون لان الفعل منسوب
اليهم بسبب الكسب ففيه دليل على ان للعبد كسبا هو مناط الثواب والعقاب وانه ليس مسلوب الاختيار
بالكلية كما زعمت المجبرة قال الاستاد وظلمهم على انفسهم بتفويت منافع الحواس والعقول وصرفها الى غير ما
خلقت له قال العلماء لما حكم الله عز وجل على اهل الشقوة بالشقاء لقضائه وقدره السابق فيهم اخبر فى هذه
الاية ان تقدير الشقوة عليهم ما كان ذلك ظلما منه لانه يتصرف فى ملكه كيف يشاء والخلق كلهم عبيده وكل
من تصرف فى ملكه لا يكون ظالما وانما قال ولكن الناس انفسهم يظلمون لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب
وان كان قد سبق قضاء الله وقدره فيهم قرا حمزة والكسائى بتخفيف لكن ومن ضرورة ذلك كسر النون
لالتقاء الساكنين وصلا ورفع الناس لبطلان العمل بالتخفيف وقرا الباقون بالتشديد ونصب الناس
ثم لما وصف الله تعالى الكفار بقلة الاصغاء وترك التدبر اتبعه بالوعيد فقال ويوم نحشرهم
اى واذكر يا محمد يوم نجمع هؤلاء المشركين لموقف الحساب واصل الحشر اخراج الجماعة وازعاجهم عن
مكانهم قرا حفص عن عاصم يحشرهم بياء الغيبة والضمير المستتر لله والباقون بنون العظمة
كان مخففة من المثقلة اسمها محذوف اى كانهم لم يلبثوا هذه الجملة التشبيهية فى موضع الحال
اى نحشرهم مشبهين بمن لم يلبثوا ولم يمكثوا فى الدنيا او فى القبور لشدة ما يلقون يوم القيمة الا ساعة
من النهار اى الا قدر ساعة من النهار يعنى شيئا قليلا منه فانها مثل فى غاية القلة وتخصيصها بالنهار
لان ساعاته اعرف حالا من ساعات الليل والوصفة ليوم والعايد محذوف تقديره يوما مشبها اهله
بمن لم يلبث قبله الا ساعة وسبب استقلال الكفار مدة مقامهم فى الدنيا انهم لما ضيعوا اعمارهم
فى طلب الدنيا والحرص على ما فيها ولم يعملوا بطاعة الله فيها كان وجود ذلك كالعدم فلذلك
استقلوه وقيل انهم لما شاهدوا اهوال يوم القيمة وطال عليهم استقلوا مدة مقامهم فى الدنيا